

برنامج علم النفس التحرُّريّ

ورقة مرجعيّة

2022

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية



توطئة:

في مجتمعات تعيش حالة مستمرة من النزاع أو الصراع السياسي، برز نوع /توجُّه من علم النفس السياسي والاجتماعي يُدعى علم النفس التحرري (Liberation Psychology). وهو في أساسه فكر فلسفيّ مناهض للاستعمار لا يشكّل منهجًا مُمأسسًا، بل هو منظومة قيّميّة ومعرفيّة ترمي إلى فهم سيكولوجيّة الأفراد والمجتمعات المضطّدة والمُفقّرة بواسطة مقارنة نظريّة وعملية للنُظُم والبنى الاضطهاديّة التي يعيشون فيها كمجتمع وكأفراد.¹

تنطلق هذه المنظومة من رفض المفاهيم الغربيّة التقليديّة المهيمنة في علم النفس الاجتماعيّ، ومن تحدي المنظومة الاستعمارية والواقع الذي تخلقه، بإضافتها بعدًا تحرريًا لمقاربتهم الظلم والقهر بين الأفراد والمجموعات. تفتح هذه المنظومة بابًا واسعًا لدراسات تتعمّق في خبايا الإنسان الخاضع لاشتراطات تخلف محيطه الاقتصاديّ والاجتماعيّ والسياسيّ والعلميّ،² وترتكز على الفكر والإنتاج المعرفيّ لمفكرين مناهضين للاستعمار، من بينهم: مارتن-بارو؛ فانون؛ فريري - وغيرهم.

يؤسّس علم النفس التحرريّ لمعرفة تنطلق من تجربة الشخص الملموس، ومن حيّوات عيشتْ بالفعل وممارسات مورست بالفعل، من خلال الحياة اليوميّة التي عيشت (Politics of Everydayness)،³ ومن خلال استعادة الذاكرة التاريخيّة للأفراد والمجموعات المضطّدة؛ إذ إنّ معظم صراعات القوّة بين المستعمر والمستعمّر تدور في حيّز الحياة اليوميّة، وتترك على المقهور -

¹ Comas- Diaz, Lillian, & Torres Rivera, Edil (Eds.). (2020). *Liberation psychology: Theory, method, practice and social justice*. American Psychological Association.

² حجازي، مصطفى. (1985). *التخلّف الاجتماعيّ: مدخل إلى سيكولوجيّة الإنسان المقهور*. لبنان: المركز الثقافي العربيّ.

³ Shalhoub Kevorkian, Nadera. (2015). *Security theology, surveillance, and the politics of fear*. UK: Cambridge University Press.

في ما تترك- آثارًا اجتماعية ونفسية عميقة. ويرتكز علم النفس التحريري على مفاهيم ومصطلحات عدّة (على سبيل المثال: الوعي النقدي؛ التمكين؛ العدالة الاجتماعية)؛⁴ والفهم الذي يوقّره علم النفس التحريري لهذه المفاهيم من شأنه أن يحسّن من رفاهية الأفراد وجودة حياتهم.

علم النفس التحريري، بوصفه منظومةً وتوجّهًا علاجيًا، قد يكون مناسبًا لأفراد ومجتمعات مختلفة (إذ لا بدّ لكلّ شخص أن يواجه جوانب معيّنة من القهر على مدار حياته، والهدف لكلّ علاج نفسيّ هو تحرير المتعالج من براثن الحالة النفسية التي يعاني منها)، إلا أنّه -بوصفه مقارنةً- مناسب على نحوٍ خاصّ، بل هو كذلك ضروريّ، لمجتمعات تعاني من القهر والقمع بصورة منهجية ومتواصلة مثل الشعب الفلسطينيّ عمومًا، وبضمنه الفلسطينيون في إسرائيل. فإنتاج وتكريس شعور الدونية والتخلّف عند المقهور يُعتبران من مصلحة الأنظمة الاستعمارية، ولديها الآليات للنجاح في ذلك. من خلال الإعلام والمدارس والأكاديميا، تستطيع هذه الأنظمة التحكّم بإنتاج معرفة تشبهها وتلائمها وتهدف إلى إعادة إنتاج شعور التخلّف والدونية لدى المستعمر، حتّى يصبح شعورًا يتبنّاه المقهور عن نفسه،⁵ فتذويت القهر هو إحدى الوسائل الأساسية التي تعتمد عليها منظومات القهر والاستعمار لضمان استمرار هيمنتها.⁶ يمكننا علم النفس التحريري من إنتاج معرفة بديلة ووعي مناهض للاستعمار، وذلك من خلال تفكيك ومعالجة السياق العامّ لمشاكل وظواهر يواجهها الأفراد والمجتمع المقهور في حياتهم وفي لقاءاتهم اليومية مع القهر، الظاهر منه والمبطنّ.

⁴ Ibid.

⁵ Fanon, Frantz. (1967). *A dying colonialism*. New York: Grove Press.

⁶ Martín-Baró, Ignacio. (1989). Political violence and war as causes of psychosocial trauma in El Salvador. *International Journal of Mental Health*, 18(1). Pp. 3-20.

ولا يقتصر مفهوم القهر على الاستعمار وممارساته، بل هو قمع مستمر ومنهجي يطول جميع مناحي حياة الفرد والمجتمع. فعلى سبيل المثال، مفهوم السلطة القهرية قد يتعدى المفهوم السياسي أو الاستعماري ليشمل مفاهيم أكثر قرباً من المقيمين، كالأُسرة والمدرسة والزوج على سبيل المثال.⁷ كل مفاهيم القهر تلك، وإن تباينت مستوياتها، تصب في محصلة واحدة هي إخضاع الآخر للسلطة بواسطة أدوات مترابطين: سمو شأن المتسلط، وانحطاط المقهور. إذا نظرنا إلى ظاهرة قتل النساء -على سبيل المثال لا الحصر- فسنرى أن المستعمر حاول على نحو منهجي إلصاق مركب الثقافة الداخلية للمجتمع من أجل تفسير الظاهرة ووصم تلك الجرائم بأنها "جرائم شرف". يشدد علم النفس التحريي على أن هذا التوجه يعتمد على المستعمر من أجل رفع المسؤولية عنه ورميها على المجتمع المقموع، نافيةً بذلك مسؤوليته هو كنظام وكبنية استعمارية عن هذه الظاهرة. يعتمد المستعمر بذلك إلى النأي بنفسه عن المجتمع المستعمر، ويُؤضع نفسه في منزلة أعلى وأكثر تقدماً من المجتمع المستعمر والمتخلف.⁸

⁷ حجازي، مصطفى. مصدر سابق.

⁸ Shalhoub Kevorkian, Nadera, & Daher-Nashif, Suhad. (2012). The politics of killing women in colonized contexts. *Jadaliyya*.

البرنامج

يرى باحثون أنّ سلبَ المقهورِ مناجي السيطرة على حياته، وعدم قدرته على صنع الواقع والتأثير عليه، يولدان شعورًا بالعجز والاكتئاب الجماعي. وعليه، فإنّ هذا البرنامج يشكّل إسهامًا في الجهد المبذول لاستعادة الفلسطينيين كمجموعة مضطّدة مناجي السيطرة على حياتهم، ولتفعيل شعورهم بالوكالة، ولا سيّما الوكالة الجمعيّة من أجل تعزيز الفرد والمجتمع عبر إضافة بُعد تحليليّ إضافي، وفهم أعمق للتحديات التي تواجههم، وتقديم حلول نابذة من مفاهيم علم النفس التحرريّ للإسهام في تغيير الواقع نحو خلق واقع أفضل. ففي حين أنّنا نجد العديد من الدراسات الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة التي تركّزت في المجتمع الفلسطينيّ وحالته الفريدة من التمييز المُتمأسس والممنهج، ثمة نقص واضح في دراسة نفسيّة الإنسان الحيّ الذي يعاني من وطأة هذه السياسات.

يسعى البرنامج إلى إنتاج معرفة بديلة، وذلك من خلال تفكيك ومعالجة السياق العامّ لمشاكل وظواهر يواجهها الأفراد والمجتمع المقهور في حياتهم اليوميّة من منظور سايكو - سوسيلوجي. كذلك يرمي إلى تجميع الفلسطينيين العاملين في الصّحة النفسيّة، من موقع المشارك المنحاز لتجارب مجتمعه، لا من موقع المُشاهد المحايد، لمشاركة تجاربهم وخبراتهم في سبيل تكوين وعي نقديّ فلسطينيّ لخصوصيّة واقعنا المَعيش، وإنتاج وتوطين معرفة بديلة تنطلق من خصوصيّة واقعنا كمجتمع مقهور والعوامل التي تؤثّر فيه وكيفية تفاعل الأفراد معها.

سنعمل على ذلك من خلال ما يلي:

- 1- تشكيل مجموعات عمل، والتشبيك مع مجموعات فلسطينية قائمة بالفعل، تتحاور وتتبادل المعرفة والخبرات الفردية، وتتشارك في تحليل المعرفة القائمة من منظور يلائم واقعنا نحو تطوير مفهوم فلسطيني لعلم النفس التحزري كمنهج تفكير وتحليل وعلاج.
- 2- التشبيك مع مجموعات عمل فلسطيني - عربي - دولي في سبيل إعلاء صوتنا وقضيتنا كشعب فلسطيني تحت الاستعمار، وكمجتمع فلسطيني يعاني من القهر والتمييز في الداخل، من خلال خطاب أصلاي ذي بعد تحزري، وابتغاء إيجاد قواسم مشتركة مع مجتمعات عربية ومجتمعات مقهورة أخرى، والمقارنة معها، والاستفادة من تجاربها.
- 3- إنتاج معرفي أصلاي نقدي مناهض للاستعمار يتمثل في نشر أوراق أكاديمية تحليلية تنطلق من الواقع الذي يعيشه الإنسان المقهور، وتغوص في ملامحه النفسية وآلياته الدفاعية.
- 4- عقد ورشات وندوات وفعاليات تُناقش مضامين ذات علاقة بالبرنامج، وذلك بغية توسيع زاوية النظر العلاجية للعاملين في الصحة النفسية وللمعنيين والمهتمين كافة.